(أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ) التوبة ٣

*و رسوله:الواو حرف عطف

رسول:مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة

الهاء:ضمير متصل مبني علي الضم في محل جر مضاف اليه.

الخبر :محذوف تقديره "برئ"

التوبة ٨

(وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ)

بالقدرة و السلطة

(لَا يَرْقُبُوا)

لا يرحموكم

(فِيكُمْ إِلًّا)

القرابة

(وَلَا ذِمَّةً)

العهد

﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ ﴾ التوبة ١٦

من دون ابتلاء و امتحان، و أمر بما يبين به الصادق و الكاذب.

﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ ﴾

أي: علما يظهر مما في القوة إلى الخارج

ليترتب عليه الثواب و العقاب

التوبة ١٧

يقول تعالى: ﴿ مَا كَانَ ﴾

أي: ما ينبغي و لا يليق

﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾

بالعبادة، و الصلاة، و غيرها من أنواع الطاعات

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ ﴾

و الحال أنهم شاهدون و مقرون على أنفسهم بالكفر بشهادة حالهم و فطرهم، و علم كثير منهم أنهم على الكفر و الباطل.

التوبة ١٨

﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾

و « عسى » من اللّه واجبة.

(ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ) التوبة ٣١

و هم علماؤهم

(وَرُهۡبَٰنَهُمۡ)

أى: العُبَّاد المتجردين للعبادة.

(أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ)

يُحِلُّون لهم ما حرم اللّه فيحلونه،

و يحرمون لهم ما أحل اللّه فيحرمونه،

و يشرعون لهم من الشرائع و الأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها.

التوبة ٣٢

﴿يُرِيدُونَ ﴾

بهذا

﴿أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾

و نور اللّه:-

دينه الذي أرسل به الرسل و أنزل به الكتب

و سماه اللّه نورا:-

لأنه يستنار به في ظلمات الجهل و الأديان الباطلة

التوبة ٣٤

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ)

هذا تحذير من اللّه تعالى لعباده المؤمنين عن كثير من الأحبار و الرهبان

و من أخذهم لأموال الناس بغير حق:-

أن يعطوهم ليفتوهم أو يحكموا لهم بغير ما أنزل اللّه

فهؤلاء الأحبار و الرهبان ليحذر منهم هاتـــان الحالتـــان:-

١ -أخذهـــم لأموال الناس بغير حق

٢ -و صدهـــم الناس عن سبيل اللّه

التوبة ٣٤

(وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ)

أى: يمسكونها

(وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ)

أى: طرق الخير الموصلة إلى اللّه

و هذا هو الكنز المحرم أن يمسكها عن النفقة الواجبة

كأن يمنع منها الـــزكاة

و النفقات الواجبة للزوجات أو الأقارب أو النفقة فى سبيل اللّه إذا وجبت.

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ التوبة ٥٤

أى: متثاقلون لا يكادون يفعلونها من ثقلها عليهم.

و أنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا و هو نشيط البدن و القلب إليها

و لا يتشبه بالمنافقين.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ التوبة ٥٤

من غير انشراح صدر و ثبات نفس،

و الواجب:أن لا ينفق إلا و هو منشرح الصدر ثابت القلب

((يرجو ذخرها و ثوابها من الله وحده))

(فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ)

فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين و لا أولادهم فإنه لا غبطة فيها

و أول بركاتها عليهم أن:-

قدموها على مراضى ربهم و عصوا اللّه لأجلها

التوبة ٥٩

﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾

أي:- كافينا الله فنرضي بما قسمه لنا و ليؤملوا فضله و إحسانه إليهم

○ كَذَلِكَ الرَّغْبَةُ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ فِي التَّوْفِيقِ لِطَاعَةِ الرَّسُولِ وَ امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَ تَرْكِ زَوَاجِرِهِ وَ تَصْدِيقِ أَخْبَارِهِ وَ الِاقْتِفَاءِ بِآثَارِه.

من يستحق اعطاؤه اذا سأل

ثُمَّ قَالَ: يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةِ رَجُلٍ:-

١-تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ

٢-وَ رَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ -

٣-وَ رَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ:-
لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ -أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ-

فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا

مسلم ١٠٤٤

(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ) التوبة ٦٥

عما قالوه من الطعن في المسلمين و في دينهم يقول طائفة منهم في غزوة تبوك

« ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعنون النبي ﷺو أصحابه-

أرغب بطونا و أكذب ألسنا و أجبن عند اللقاء » و نحو ذلك

و لما بلغهم أن النبي ﷺقد علم بكلامهم جاءوا يعتذرون إليه التوبة ٦٥

و يقولون (لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ)

أي نتكلم بكلام لا قصد لنا به و لا قصدنا الطعن و العيب

(قُلْ) لهم التوبة ٦٥

(أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ)

فإن الاستهزاء بالله و آياته و رسوله كفر مخرج عن الدين

لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله و تعظيم دينه و رسله

(ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٍۚ) التوبة ٦٧

لأنهم اشتركوا في النفاق فاشتركوا فى تولى بعضهم بعضا

و فى هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم.

التوبة ٧٩

(ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ)

أى: يعيبون و يطعنون

(ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ)

فيقولون: مراءون قصدهم الفخر و الرياء.

(و) يلمزون (وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ)

فيخرجون ما استطاعوا و يقولون:اللّه غنى عن صدقاتهم

(وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ) التوبة ٨٥

أي: لا تغتر بما أعطاهم اللّه في الدنيا من الأموال و الأولاد فليس ذلك لكرامتهم عليه و إنما ذلك إهانة منه لهم.

(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا) التوبة ٨٥

١ –فيتعبـــــون في تحصيلها

٢ –و يخـــــافون من زوالها

٣ –و لا يتهنئـــــون بها.

٤ –بل لا يزالون يعانون الشدائد و المشاق فيها

٥ –تلهيهم عن اللّه و الدار الآخرة حتى ينتقلوا من الدنيا

و تأمل كيف قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾

و لم يقل: « فإن اللّه لا يرضى عنهم » ليدل على أن باب التوبة مفتوح

و أنهم مهما تابوا هم أو غيرهم فإن اللّه يتوب عليهم و يرضى عنهم.

و أما ما داموا فاسقين فإن اللّه لا يرضى عليهم لوجود المانع من رضاه

[و هو خروجهم عن ما رضيه اللّه لهم من الإيمان و الطاعة إلى ما يغضبه من

الشرك و النفاق و المعاصي]

يقول تعالى: (ٱلْأَعْرَابُ) التوبة ٩٧

و هم سكان البادية و البراري

(أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا)

من الحاضرة الذين فيهم كفر و نفاق

و ذلك لأسبـــــاب كثيـــــرة:-

منها: أنهم بعيدون عن معرفة الشرائع الدينية و الأعمال و الأحكام

فهم أحرى (وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ) التوبة ٩٧

من أصول الإيمان و أحكام الأوامر و النواهى

بخلاف الحاضرة:-فإنهم أقرب لأن يعلموا حدود ما أنزل اللّه على رسوله

فيحدث لهم - بسبب هذا العلم- تصورات حسنة

و إرادات للخير الذي يعلمون ما لا يكون في البادية.

و فيهم من لطافة الطبع و الانقياد للداعى ما ليس في البادية

و يجالسون أهل الإيمان و يخالطونهم أكثر من أهل البادية

فلذلك كانوا أحرى للخير من أهل البادية

و إن كان في البادية و الحاضرة كفار و منافقون

ففي البادية أشد و أغلظ مما في الحاضرة.

(وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ) التوبة ٩٨

من الزكاة و النفقة في سبيل اللّه و غير ذلك

(مَغۡرَمٗا)

أى:يراها خسارة و نقصا لا يحتسب فيها و لا يريد بها وجه اللّه و لا يكاد يؤديها إلا كرها.

(وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ)

أي: من عداوتهم للمؤمنين و بغضهم لهم

أنهم يودون و ينتظرون فيهم دوائر الدهر و فجائع الزمان

(عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ) التوبة ٩٨

و أما المؤمنون فلهم الدائرة الحسنة على أعدائهم و لهم العقبى الحسنة

التوبة ٩٩

(وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ)

و ليس الأعراب كلهم مذمومين

بل منهم (مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ)

فيسلم بذلك من الكفر و النفاق و يعمل بمقتضى الإيمان.

(وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ)

أي: يحتسب نفقته و يقصد بها وجه اللّه تعالى و القرب منه

(وَ) يجعلها وسيلة لـ (وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ)

أي: دعائه لهم و تبريكه عليهم

﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ التوبة ١٠١

أي:تمرنوا عليه و استمروا و ازدادوا فيه طغيانا.

تَمَرَّدَ فُلَانٌ عَلَى اللهِ أَيْ: عَتَا وَ تَجَبَّرَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ التوبة ١١١

يخبر تعالى خبرا صدقا و يعد وعدا حقا بمبايعة عظيمة و معاوضة جسيمة

و هو أنه ﴿ٱشْتَرَىٰ ﴾بنفسه الكريمة

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ فهي المثمن و السلعة المبيعة.

﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾

(ٱلسَّٰٓئِحُونَ) التوبة ١١٢

و المراد بالسياحة:-

السفر في القربات كالحج و العمرة و الجهاد و طلب العلم و صلة الأقارب...

كَمَا وَصَفَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{سَٰٓئِحَٰتٍ} [التحريم: ٥] أَيْ:صَائِمَاتٍ

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة ١١٩

في أقوالهم و أفعالهم و أحوالهم الذين أقوالهم صدق و أعمالهم و أحوالهم لا تكون إلا :-

١ –صدقا خلية من الكسل و الفتور

٢ –سالمة من المقاصد السيئة

٣ –مشتملة على الإخلاص و النية الصالحة

فإن الصدق يهدي إلى البر و إن البر يهدي إلى الجنة.

قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾

(لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) التوبة ١٢٢

أى لـــــــ:-

١-يتعلمـــوا العلم الشرعى ٢-و يعلمـــوا معانيه ٣-و يفقهـــوا أسراره

٤-و ليعلمـــوا غيرهم ٥-و لينـــذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم و خصوصا الفقه في الدين

و أنه أهم الأمور و أن من تعلم علما فعليه نشره و بثه في العباد

و نصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم من بركته و أجره الذي ينمى له

التوبة ١٢٤

(وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ)

فيها الأمر و النهي و الخبر عن نفسه الكريمة و عن الأمور الغائبة و الحث على الجهاد.

(فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ)

حصل الاستفهام لمن حصل له الإيمان بها من الطائفتين.

(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا)

بالعلم بها و فهمها و اعتقادها و العمل بها و الرغبة في الخير و الانكفاف عن فعل الشر.

(وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ)يبشر بعضهم بعضا بما من اللّه عليهم من آياته و التوفيق لفهمها و العمل بها.

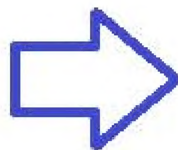
و هـــذا دال عـــلى:-

١-انشراح صدورهم لآيات اللّه ٢-و طمأنينة قلوبهم ٣-و سرعة انقيادهم لما تحثهم عليه.

التوبة ١٢٨

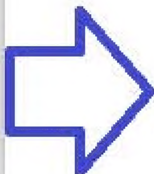
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾

يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الذى من أنفسهم يعرفون حاله و يتمكنون من الأخذ عنه و لا يأنفون عن الانقياد له و هو ﷺ في غاية النصح لهم



﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم و يعنتكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ فـــــيحب لكم الخير و يسعى جهده في إيصاله إليكم و يحرص على هدايتكم إلى الإيمان و يكره لكم الشر و يسعى جهده في تنفيركم عنه.



﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ شديد الرأفة و الرحمة بهم أرحم بهم من والديهم.

و إن (تَوَلَّوۡاْ) التوبة ١٢٩

عن الإيمان و العمل فامض على سبيلك و لا تزل في دعوتك

(فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ)

أي: الله كافيَّ في جميع ما أهمنى

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ)

أى: لا معبود بحق سواه.

(عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ)

أي: اعتمدت و وثقت به في جلب ما ينفع و دفع ما يضر